حط البذار (١ = واحد من حيله وآخر من خيره = واحد بكتنه وواحد بالله = كبر المخافس (٢ قطع نصيب = بتشوف قبّة بتخمّن مزار (٣ = الدنيا مع الواقف ولو كان بقل (لها بقيّة)

سياحة في سويسرة

لشاب الاديب جرجي بن يوسف اليان سركيس احد طلبة الهندسة في كلية لوزان

ودّعنا سلمتا المدرسيّة ودخلنا في أيام العطلة الصيفيّة فحان لنا ان نأخذ بعد اتعابنا نصيباً من الراحة. وكانت افكاري موجّهة الى شقيقي انطوان وهو في تونس الغرب انتظر منهُ رقيماً يدعوني بهِ اليهِ لتقضي معاً هذه اشهر الراحة. وانا غائص في هذه الافكار اذ اتاني في ليلة ١١ آب نبأ برقي يفيدني انَّ اخي وصل مرسيلية وسيكون عندي بعد يومين. فحدّث عن فرحي بقدوم الحبيب ولا حرج اذ ليس اشهى على قلب المرء في غربتهِ من اجتماع شملهِ مع اهل تربتهِ. فصرفت واخي يوماً عددتهُ من اطيب أيام حياتي. ثم اتفقنا على ان نتجوّل في انحاء سويسرة فنشبع ابصارنا بمشاهدها الفتّانة وآثارها الخطيرة التي تتقاطر السيّاح الى معاينتها في هذا الفصل من السنة وباشرنا بمدينة لوزانَ التي كنت احسن معرفةً بها فاردتُ ان اعرض محاسنها على اخي فأصبح لهُ فيها دليلاً وهي تستحقُّ شرف التقدّم

لوزانة حاضرة احدى مقاطعات سويسرة وهي مقاطعة ڤود (Vaud) المعدودة من اجمل وابهى ايالات سويسرة بل من كل بلاد اوربّة فانَّ موقعها على منعطف حوض بحيرة التوسط بين مقاطعتي نيوشاتل وجنيفة تُشرف عليها شرقاً جبال الالب وغرباً ضواحيها قمم جبال جُورا وفي جنوبها وادٍ عجيب كثير الاشجار غزير المياه تتوفّر بهِ المناظر طبيعيّة الخلابة للابصار. اما حاضرة هذه العاملة لوزانة فانّها احدى كبار

(١ لعلها (ام الذي استلفهُ)

(٢ مخافس بمعنى كبير النفس

(٣ لعلها (بيجوز قبّة وبيعمّر مزار)

مدن سويسرة على ضفّة بحيرة جنيفة التي تدعى ايضاً بحيرة ليمان تحدق بها الدساكر والجواسق والرياض والخمائل والكروم وتختلف فيها الحزون والبطون وتجري فيها جداول المياه واليها تتوارد السيّاح زرافات زرافات في اشهر الربيع والصيف يعدونها كجنّة الاقطار الاوربيّة. وبيوت الدينة على عدّة آكام وربى تمرّ بينها ثلاثة شوارع كبيرة لا يقطعها السابلة الّا بطاوع او تزول دائمين واهلها اليوم نيّف وخمسون الفاً واللغة الغالبة عليهم هي الفرنسويّة الّا انّ كثرة الاجانب المتردّدين اليها وتوسّطها في البلاد تخطرهم الى درس اللغات الشائعة في اوربّة كالالمانيّة والانكليزيّة والايطاليّة وفي لوزانّة كليّة شهيرة عظيمة الشان يبلغ عدد الطلبة المتأبين لحضور دروسها ١٣٠٠ طالب يتبلرن اليها من كل أوب وصوب ليدرسوا فيها خصوصاً الطبّ والفقه والهندسة ولاساتذتها سمعة مستفيضة في انحاء اوربّة

وكان اول ما زرناهُ ابنية تلك الكليّة وهي مشيّدة على احدى اكمات المدينة فقصدناها ماريّن على جسر بُني بين جبلين. والكليّة عبارة عن بناء فخيم في واجهته مدخل يرتقى اليه بهندسته فرقينا درجهُ ووصلنا الى قاعتين كبيرتين يلقي فيهما الاساتذة دروسهم تسع كل منها ٣٠٠ تلميذ. وخرجنا منهما الى باحة فسيحة تزينها اجناس الزهور على هندام جميل وفي وسط الحديقة بركة تترقرق مياهها في صفاء الدمعة. ويحيط بالباحة قناطر تمتد الى عواميد من الرخام السقاني مسقوفة بالزجاج لا يتمالك الداخل من العجب بحسنها. وعن شمال القناطر دار التحف فيها مجاميع من الرسوم والنقوش والتصاوير لابرع الصنعة واشهر المصوّرين تمتاز بينها مناظر الطبيعة كالجبال والغابات والمواشي الراعية تحسبها حيّة لدقّة صنعها. وهناك التماثيل في كل هيئاتها منظومة بذوق وحذق منها بالرخام ومنها بالجصّ او بالمواد المعدنيّة. ومن عن يمين القناطر خزانة كتب عامرة لا يقلّ عددها عن ٢٢٠,٠٠٠. وفي هذه الكليّة متاحف اخرى للنبات والحيوان وعالم طبقات الارض لكنّ العلة كانوا يشتغلون في تنظيمها فلم نستطع ان نزورها

وفوق هذه الكليّة على ذروة الاكمة الكنيسة الكاتدرائية التي ابتناها الكاثوليك في سالف الاعصار وضبطها البروتستانت وهي اليوم في ايديهم وهذه الكنيسة من الابنية الجليلة لها قبّة جرس يُرقى الى اعلاها بنحو ٢٥٠ مرقاة وهناك سطحٌ علوّهُ ٦٠

متراً صعدنا فوقهُ فسرَّحنا النظر على كل اطراف المدينة فلاحت لنا كلّ ابنيتها وآثارها وكل تقاسيمها بل كنَّا ننظر بساتين المدينة . ومزارعها مع بحيرة ليمان الرائقة الحسن التي ترتسم في مياهها صور الآكام المجاورة كأنها المرآة الصقيلة . وكذلك كان نظرنا يرتفع الى عنان السماء فيشاهد تقاطيع جبل جورا والقرى التي تستند الى مماطفه . وفي داخل هذه الكنيسة ضرائح اساقفة المدينة الاقدمين من الكاثوليك فتذكَّرنا ما كان لهم من الايادي البيض والمشروعات الصالحة التي لم يزل التاريخ مدوِّناً لها

ثم انحدرنا من سفح المدينة لنزور مجلسها البلدي ولم يَدُر على خلدنا انَّ معاهدهُ ستغلق في ايام العطلة فاكتفينا بان نجول في الحديقة العمومية التي امام تلك البناية ونعاين تمثالاً رائعاً للبطل السويسري غليوم تل نُصب فوق دار الحكومة

وبعد الغداء سرنا الى اوشي (Ochy) وهي على ساحل البحيرة يعتبرها اهل لوزانة كضاحية مدينتهم وكانت سابقاً بعيدة عنها لكنَّ المدينة لم تزل تتَّسع حتى كادت تتَّصل ابنيتها . ولرسى اوشي رصيف عريض طولهُ ٣٠٠ متر تحيط به عن طرفيه الجنائن والاشجار وقد أُعدَّت هناك مقاعد يجلس عليها المتنزِّهون بازاء البحيرة تمتدُّ ابصارهم الى تحوم فرنسة ومدينة ايان فيقضون الساعات والعيون لا تملُّ من مراقبة الطبيعة ومشاهدها الساحرة

وكان على ساحل البحيرة سفينة حان وقت سيرها وقد ركبها الناس افواجاً مزدحمة وقصدهم ترويح البال في قرية وَارَي (Vevey) . فما لبث الرُّبان ان آذن بالرحيل فحللنا اجنحة البخار وسرنا موازين لساحل البحيرة والعيون شاخصة الى ما هناك من اعمال الخالق . واجتزنا عدَّة قرى حتى بلغنا بعد ساعة الى وَارَي حيث تتسع البحيرة فيبلغ عرضها ١٣ كيلو متراً

فنزلنا في تلك البلدة ليس لنشاهد آثارها وهي خاوية منها لكن لنترقَّل من هناك في جبل عالٍ يقصدهُ السيَّاح من اقاصي البلاد ويدعونهُ جبل بارين او جبل الحاج علوُّهُ ٨٥٠ متراً فوق لوزانة يعاينون في قمَّته منظراً فريداً في جنسهِ جامعاً لمحاسن طبيعيَّة شتى فلما يرونها مجتمعةً في مكان واحد . والرقيّ اليهِ شديد عسرٌ وكان السيَّاح لاسيَّما الانكليز منهم يتناخرون في صعودهِ لما يخفّ بالراقي من المخاطر امَّا اليوم فقد جُهِّزت لهُ سكَّة حديديَّة تعرف بالسكَّة السلسليَّة (funiculaire) تجري صعوداً وهبوطاً بموازنة الاثقال فتقطع المسافة بين سفح الجبل وقمَّته في ٢٦ دقيقة . ويا ليت اللبنانيين يتَّخذون

سككاً مثلها في بعض انحاء جبالهم وخصوصاً من جونية الى حريصا او غسطا فيوقفون على تفرسهم زمناً طويلاً وتنقات باهظة ويصبح لبنان موردًا للثروة قريباً من المصطافين ينزلون من الجبل الى بيروت او يصعدون منها الى الجبل بساعة واحدة دون عناء

فبعد برهة من الزمان دخلنا قطار السكّة واذا بجرس كهربائي اخذ يدقّ اشارةً الى اوان السفر . فجعل القطار يصعد رويدًا رويدًا مرتفعاً على منعطف تلك الجبال العالية ونحن ننظر من نوافذ الزجاج الروسي البديعة التي زانت بها يدُ الخالق تلك الاصقاع . وكانت تلك المناظر تزيد حسناً وغرابة على قدر ارتفاعنا وتشغلنا عن التفكير في ميل السكّة وسيرها على منعطف الجبال فلو قطعت سلاسلها لأودت بحياتنا لا محالة فمرَّ علينا ثلث ساعة ونحن لا نزال نتوغّل في تلك المشارف وكنّا نشعر ببرد الجبال الصافي الذي ينعش قوانا ويلطّف حرارة صيفنا حتى وقفت السكّة عند حدّها

فنزلنا في المحطّة ثم واصلنا السير ماشين فتقينا هناك من الغابات والاودية وجداول المياه ما كان يضنينا اجل مناظر لبنان . وكان الثلج لا يزال كاسياً بثوبه البرّاق أكمامًا عديدة فتجوّلنا فيها وقضينا العجب من محاسنها . واهل لوزانّة قد زادوا على رونق الطبيعة . وجهّزوا تلك الاماكنة بما يشوّق السيّاح الى رؤيتها فمهّدوا الطرق ومدّوا الجسور والمابر وابتنوا بعض المنازل لفصل الصيف فيجد فيها المسافرون ما يحتاجون من المشروبات وخلاصة الكلام انّ تلك الانجاد الجديرة بما يثني عليها السيّاح من الاوصاف الشائقة فلا تخرج من ذكرنا طالما حيينا . ورجعنا في مساء ذلك النهار الى لوزانّة منحدرين بقطارنا السابق ذكرهُ وكانت الشمس عند عودتنا على ظهر السفينة تضرب باشعّتها قبل غروبها قمم جبال الالب فتصبغها بالوانها القرمزيّة ثم الورديّة ثم الصفراء ما كان يأخذ بمجامع القلوب ويدهش لهُ كل الابصار

وكان اليوم التالي واقعاً في ١٥ آب وهو يوم عيد انتقال العذراء الى السماء فقضيناهُ بالمدينة واكتفينا باتمام فرائضنا الدينية في كنيسة قريبة من منزلنا . وقد سُرَّ اخي من عبادة السويسريين الكاثوليك الذين يُعرفون بشدّة اعتصامهم بحبل الدين وقد جاهدوا في سبيل ايمانهم جهادًا مشكورًا حتى اضطرّوا الحكومة الى ان تمنحهم الحريّة التامّة وترعى حقوقهم بعد ان هضمتها زمناً طويلاً

وكان ذلك اليوم يوم السبت وفيهِ تُقام سوقٌ حافلة يتوارد اليها الاهلون من كلّ

القرى والمزارع المجاورة . وهناك ساحة كبيرة تراها في ذلك اليوم غاصّة بالباعة يعرضون فيها كل غلّات البلاد ومحصولاتها ومواشيها لكلّ صنف منها مقام مألوف يقصده الالوف من الزبائن

وفي صباح الاحد في ١٦ آب نهضنا من النوم باكرًا وتأهبنا لسفر اسبوعين نقضيها في السياحة . وكنّا قطعنا لنا تذاكر تخوّل لنا حقوق التجوال حيثما شئنا في انحاء سويسرة في سككها الحديديّة وسائر سفنها وذلك بثمن بخس لا يتجاوز قدره ٤٠ فرنكاً فركبنا الباخرة في ارشي فأقلّتنا بنحو ساعة الى اڤيان (Evian) وهي مدينة فرنسويّة واقعة على حدود البلادين . واڤيان مدينة شهيرة بحمّاماتها المعدنيّة يقصدها كثير من ذوي العاهات لاسيما ارباب الثروة ووجوه القوم

وكان وصولنا الى اڤيان الساعة التاسعة والاجراس تقرع فتدعو المؤمنين لحضور القدّاس فكنّا من المجيبين لدعوتها فدخلنا الكنيسة حيث كان احتشد الناس من كل رتبة ومقام فغصّت بهم الكنيسة مع رحبها حتى تعسّر علينا وجود مكان لنا . امّا المدينة فكثيرة الفنادق حسنة الابنية لكنّنا لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر

وبعد الظهر عدنا فركبنا السفينة وسرنا موازين للاملاك الفرنسويّة حتى بلغنا قرية مونرو (Montreux) وهي بلدة صغيرة تشبه اڤيان بمنازلها الكبيرة ويكثر فيها في الشتاء وقع الثلج ويتّخذون فيه الاحواض الجليديّة فيزلجون عليها بالمزالج الحديديّة (patins) ويقصدها القوم لهذه الغاية

ثم توجّهنا يوم الاثنين الى مدينة فريبورغ وهي على مسافة ساعة ونصف بالقطار الحديديّ . وفريبورغ هذه احدى حواضر سويسرة وبها دُعيت احدى مقاطعات ذلك القطر والكاثوليك يعتبرونها كعاصمة ديانتهم في سويسرة . فبلغناها في ضحى النهار . وعند نزولنا من القطار رأينا اسقف المدينة منحدرًا منهُ يصحبهُ احد كهنته وسار كلاهما ماشيًا الى الدار الاسقفيّة فتعجبنا من بساطة ذلك الحبر وحياده عن كل فخفخة وجاه عالميّ

فريبورغ تُقسم الى قسمين المدينة العليا والمدينة السفلى فقصدنا هذه الاخيرة وتجوّلنا في احيائها وزرنا متنزهاتها وفي وسطها يتخلّل نهر يُدعى سارين (Sarine) على حافتيه الاشجار والحدائق . امّا المدينة العليا فرقيها فوق ربوة مرتفعة وكل الطرق التي

تؤدي اليها كثيرة الانحدار يُصعد اليها بالمراقي العديدة ومن فوقها يكشف الناظر على بلاد واسعة كثيرة المحاسن الطبيعيَّة

ومن عجائب فريبورغ كنيستها الكاتدرائيَّة التي تُعَدّ من الآثار الهندسيَّة الفخيمة يُوقَّى عهدها الى القرن الثاني عشر ومن خواصها ارغنها الشهير الممدود بين تُحف الآلات الصناعيَّة. انشأهُ لويس موزو سنة ١٨٣٩ وكان اكبر ارغن يُعرف في العالم حتى اصطنع اليوميُّون ارغنهم في كنيسة سان فرنسيسكو فناق عليه الَّا انَّ الزلازل التي حدثت في تلك المدينة اتلفت ارغنها فعاد للارغن السويسري مقامه الاوَّل وقد تبلغ ابواقهُ ٧٨٠٠ بوق وكل محبّي الادوات الموسيقيَّة اذا مرُّوا بفريبورغ عدُّوا زيارتهُ كفرض واجب وفي الكنيسة موسيقي حاذق يدقُّ للزوَّار اذا بلغ عددهم ستَّة ودفع لهُ كل زائر فرنكًا أجرة تعبه. وكنَّا نحن يومئذٍ ٣٠٠ زائر وشنَّف آذاننا بانغام هذه الآلة العجيبة التي تمثل كل اصوات الطبيعة احسن تمثيل وتهيّج كل العواطف في قلوب سامعيها فكنَّا نظنّ عند سماع نغماته تارةً انَّ اجواقًا من الموسيقيين يعزفون على ضروب من آلات الطرب في اقاصي المدينة وتارةً انَّ الرعود تدوي فوق رؤوسنا فترتجّ لها اطراف الكنيسة. وكان آخر ما اسمعنا صوتًا رخيمًا للغاية فحسبنا انهُ صوتٌ بشريّ لاحدى السيدات تنشد نشيدًا دينيًّا طربت لهُ كل مشاعرنا. فخرجنا من تلك الكنيسة وكلُّنا ألسنة تنطق في مدح مفاخرها

وفريبورغ كما سبق مركز الكثلكة في سويسرة اشتهر فيها كثيرون من مشاهير الافاضل. وفي احدى كنائسها قبر رسولها الطوباويّ كانيسيوس اليسوعي الذي في القسم الثاني من القرن السادس عشر شرُف باعمالهِ وتآليفهِ وفضائلهِ السامية بلاد المانية والنمسة وسويسرة وتصدَّى للبراطقة في تلك البلاد فاستحقَّ ان يدعى رسولها. وكانت وفاتهُ في فريبورغ فاتَّخذهُ اهلها كشفيعهم. ولما كانت السنة ١٨٩٧ وهي المئة الثالثة لموتهِ حجَّت الى قبرهِ الألوف المؤلفة من نواحي اوربَّة حتى اناف عددهم على ٣٠٠,٠٠٠ وعُقدت حفلات عظيمة اطرأ فيها الكاثوليك محامد شفيعهم وعدَّدوا اعمالهُ الجبَّاريَّة في خدمة بلادهم وتنشَّطوا على مثالهِ لكل الاعمال الخيريَّة في سبيل الدين

ثم طفنا البلدة متنقلين من اسفلها الى اعلاها ومررنا على جسريها العجيبين وهما من اعمال الصناعة الناخرة الدالَّة على ذكاء مهندسها. والجسر الواحد طولهُ ٢٣٠ مترًا في

عرض ٦٠ وهو ممدود فوق وادي سارين وموثق بثلاث سلاسل ضخمة وكنا نشعر ونحن نقطعهُ بارتجاجهِ واهتزازهِ الّا انهُ غاية في المكانة. امّا الجسر الثاني فقد اصطنعهُ الفرنسويون سنة ١٨٦٠ واصلحوهُ سنة ١٨٧٤ وهو اقصر من السابق لكنهُ اعلى منهُ فانهُ يرتفع فوق الوادي على علوّ ٧٤ مترًا فيرى المجتاز عليهِ المُشاة في الوادي صغارًا جدًّا ويشاهد كل مدينة فريبورغ مع بعض اسوارها القديمة المحيطة بها

وفي فريبورغ دار تُحف تشتمل على عاديّات ثمينة عزيزة الوجود فتقدّمناها بشوق وكان الدليل يرافقنا ويشرح لنا ما تحتويهِ كل قاعة من النوادر. واغنى ما في هذه الدار عاديّاتها السابقة لعهد التاريخ من طور الظرّان اذ كان الانسان لم يتّخذ بعد الحديد والمعادن فيصطنع اثاثهُ واسلحتهُ من الصوّان والعظام وغيرهما وكذلك المستحجرات من النبات والاصداف فانها كثيرة مختلفة الاجناس غريبة الهيئات. هذا فضلًا عن هياكل حيوانيّة لبهائم قد فقد اليوم جنسها ووُجدت عظامها فركّبت على صورها القديمة على ادقّ منوال

وفي اصيل النهار ودّعنا فريبورغ وركبنا القطار متوجهين الى عاصمة كل المقاطعات السويسرية اعني برن ولا تبعد بالسكة الحديدية عن فريبورغ سوى نصف الساعة وفيها تقيم الهيئة الحاكمة وعمدة الجمهوريّة السويسريّة ورجال دولتها ورئيسها السير مولار. امّا عدد سكّانها فلا يزيدون عن ٦٧,٠٠٠ نفس

وجدنا برن مدينةً واسعة الشوارع غاية في النظافة وكنّا اذا خطونا بعض الخطوات وجدنا سُبل الماء يعارها التماثيل والمنحوتات الجميلة. وبرن كفريبورغ مبنيّة على آكام مرتفعة تمتدّ بينها الجسور لكنّ جسورها ليست معلّقة بالسلاسل ولها نهرٌ يمرُّ بها اسمهُ آر (Aar) يتكوّن منهُ في مسيرهِ بُحيرتان جميلتا المنظر بُحيرة بريَنز (Brienz) وتول (Thul) وفي وسط المدينة ساحة واسعة يزدحم فيها الناس لاسيما في ساعات الفراغ فيسرّحون انظارهم على مجرى النهر الذي ينصبّ قريبًا منهم بمياههِ الزاخرة على هيئة مهيبة وتعلو فوق رؤوسهم جبال الالب الشاهقة المدعوّة باسم بلدهم الالب البرنيّة (Alpes Bernoises). وبازاء هذه الساحة ايضًا دار الحكومة وهي فخيمة فاخرة على ابوابها شعار بلاد سويسرة وشارات مقاطعاتها كلها بالقسيفساء. والحجارة الملوّنة

ويلي دار الحكومة شوارع يؤدي الى احواض وبرك عديدة فاجتزنا بهِ وسرنا الى

خارج المدينة حيث رأينا صيرًا واسعًا تُربّى فيه الأدباب الحيَّة ولها خدَمٌ يقومون بحاجاتها. امَّا اعتناء البرنيّين بالدببة فلانَّ شعار مدينتهم هو الدبّ وكانوا في القرون السالفة يصطادونها في جبالهم بين الثلوج الغرّاء التي تعلو فوق اطوادهم ويتخذون بلحمها. واليوم ترى صورة الدبّ مرسومة على ابوابهم وعلى قبعاتهم وملابسهم وعلى ازياء حكومتهم. ولتلك الادباب الحيَّة حُفرٌ تُقيم فيها وحولها درابزينات من حديد يتزاحم عليها الناس ليشاهدوا تلك الضواري وهم يلقون لها المأكولات فتثب عليها وتتلقّفها بحركات مضحكة

وبتنا تلك الليلة في برن ولمّا كان رأد الضحى في اليوم التالي ركبنا السكة قاصدين السفر الى ثون (Thun) وكان ذلك اليوم سوقًا لاهل برن تقاطر اليها القرويّون من كل فجّ ليبيعوا محصولاتهم ويبتاعوا بدلًا منها ما يحتاجون اليه من امور المعاش. وبعد ساعتين وصلنا الى محطّة شرزليزن ونزلنا الباخرة التي سيرت بنا في بحيرة ثون وهي بحيرة صقيلة المياه كالبلّور تكتنفها الاعشاب والاشجار والخضر فتنعكس صورها في المياه. وامامها التلال والجبال التي منها ما تكسوه الثلوج المخلّدة بثلجها البيضاء. وكنّا نمرّ من حين الى آخر بازاء شلّالات تتساقط مياهها من اعالي الجبال فتتطاير من حولها كالضجّة الكبيرة وترسم كل الوان قوس قزح وهي من ابهى مشاهد الطبيعة. ثم عدنا بعد ذلك الى السكة الحديدية حتى وصلنا الى بحيرة برينتز وهي كبحيرة ثون في مناظرها البديعة. وليس في سويسرة ابدع من هاتين البحيرتين ومن بحيرة لوسرن وفي فصل الصيف ترى السيّاح يتناوبون في زيارتها جماعات جماعات لا يكاد يخلو منهم يوم واحد

وفي بحيرة برينتز هذه تصبّ شلّالة شهيرة وهي شلالة گيزباخ وهناك قرية تدعى بهذا الاسم ومياهها تتدفّق في بحيرة من علو ٣٠٠ متر وقد متّعنا بمنظرها الابصار ونحن على ظهر السفينة والشمس تضرب عليها اشعّتها الذهبيّة. امّا في ظلام الليل فقد جهّز لها الاهلون اجهزةً كهربائيّة اذا اوقدوها صبغت المياه بالوان زاهية لا يفي بحسنها وصف والغرباء في رحلهم يطنبون في جمالها

ونزلنا في قرية برينتز فنقلتنا سكّة حديديّة ضيّقة الاسلاك مسنّنة كسكّة لبنان فمررنا بين جبال واودية عميقة ونحن نسمع خرير المياه من كل جانب والانهار والجداول تخترق تلك الامكنة فتارةً نطرب لرقرقتها وحينًا تصبّ مزبدةً وصوتها كصوت الرعد

تتحدَّر من رؤوس الجبال. وهـذا المضيق تتناوب فيه المشاهد البهيَّة نرى على مدى البصر مناظر تسحر اللبَّ وتحيك في القلب وكان القطار يسير الهوينا فيسمح لنا بمعاينة تلك الرؤى الفتَّانة منها عدَّة بحيرات صغيرة وغابات وخمائل ومناجع القطعان فما كان لساننا يفتأ عن الشكر للخالق الذي نعَّمنا بهذه المحاسن

وكان وصولنا الى لوسرن (Lucerne) الساعة ٧ ونصف مساء يوم الثلثاء وهي حاضرة مقاطعة تدعى بها وموقعها على نهر روس (Reuss) الذي يقسمها الى قسمين يجمع بينهما جسران عظيمان. والنهر يخرج هنالك من البحيرة بجلبة شديدة فيتحدَّر منها وينصبّ في نهر آر. اما البحيرة فتدعى ايضاً بحيرة لوسرن او بحيرة المقاطعات الاربع وهي مستطيلة تدخل مياهها في الاراضي والصخور فتتكوَّن منها الخلجان والرؤوس الصخريَّة بهيئات غريبة. وضواحي المدينة كثيرة الخصب جيِّدة التربة تتوفَّر فيها المراعي والبساتين والكروم

اما المدينة فمتوسِّطة الكبر واهلها لا يتجاوزون ٣٧٠٠٠ نفس لكنها انزه واجمل مدينة في كل مقاطعات سويسرة ليس فقط لحسن موقعها ووفرة مشاهدها الطبيعيَّة لكن ايضاً لمنازلها الفخيمة وبناياتها اللطيفة ولزخرف اهاليها في الملابس والازياء المختلفة وفي مساء كل يوم تتألف فئات من المغنين فيقاشدون الاغاني الوطنيَّة ويعزفون بالآلات الموسيقيَّة الى اواسط الليل

وتجوَّلنا في شوارع المدينة فرأينا فيها الناس كأنهم في يوم عيد تظهر في ملابسهم وحركاتهم امارات الفرح والنشاط. واكثرهم يسيرون الى الشارع المجاور للبحيرة فتبعناهم واذا هناك فسحة واسعة على جانبيها اشجار الكستنا الوارفة الافنان تتلألأ تلك الباحة وبين الشجر جوقات الموسيقيين يعزفون بآلات الطرب. ومن تلك الساحة كنَّا نرى الجبال التي تحفّ بالمدينة اخصها جبل يدعونه جبل بيلاطوس كثير الصخور صعب المرتقى يصعدون اليه بسكة حديديَّة سلسليَّة وعلى قمَّة الجبل مسارج للانوار يوقدونها اذا خيَّم الظلام على الارض وتتألَّق ضياؤها مشعَّةً فترى عن بعد. وكانت القوارب البخاريَّة والسفن الصغيرة تتنقَّل بين الشواطئ وفيها الانوار الملوَّنة لكلّ سفينة نورها لتمتاز به عن اختها. وكان مبيتنا تلك الليلة في منزل احد الاهلين في حجرة من طابقه الرابع اذ تعسَّر علينا وجود مكان فارغ في فنادق المدينة لكثرة الاجانب فيها

هيئا صباح الاربعاء من الفراش لنتجوّل في انحاء المدينة لئلّا يفوتنا شيء من طُرَفها قبل فراقها. فممّا يستحقّ الذكر بعد مشاهدها الطبيعيّة صورة تمثال عظيم نُحت في الصخر يمثّل اسدًا ضخمًا نفذ فيه رمحُ صيّادٍ فصرعهُ وكاد يصرم حبل حياته على انّ الاسد يجاهد بما بقي فيه من القوّة ويتلوّى ويزأر فيتأثّر الناظر لشدّة سطوته وهول نظره وانحلال قواهُ بفقد دمه. وامام الاسد شمار ماوك فرنسة زهرة السوسن دلالةً على سقوط آل بربون في سويسرة. وثم المرموز عنهم بهذا الاسد الهائل الذي طولهُ سبعة امتار وهو قائم في وسط كهف فسيح. وحول هذا التمثال مقاعد يجلس عليها الناس ليتأمّلوا دمية الحيوان (التتمة لعدد آخر)

قصة القديس ديونيسيوس الاريوباغي

ورسالتهُ الى ابولوفانيس

للاب بولس بقرس اليسوعي من جماعة البولنديين

يعرف القرّاء ما رواهُ كتاب اعمال الرسل (١٧: ١٦—٣٤) عن بشارة القديس بولس الرسول في اثينا وتنصّر ديونيسيوس الاريوباغي على يده مع امرأة تُدعى داميريس وآخرين معها. فهذا غاية ما افادنا التاريخ الصحيح عن ذلك الرجل الشهير الذي كان يعتبرهُ قدماء الكتبة اليونان كاوّل اسقف لاثينا

على انّ الدارسين لم يكتفوا بهذه الرواية بل اصطنعوا باسمه عدّة تآليف اعلنوا بها لاوّل مرّة في المجمع الذي عقدهُ يوحنّا ملك في القسطنطينيّة سنة ٥٣١ وقبل ٥٣٣ لاقناع اهل بدعة الطبيعة الواحدة من اشياع ساويروس الانطاكيّ. فاستشهد المبتدعون لتأييد ضلالهم باقوال نسبوها لديونيسيوس الاريوباغي. فللحال تصدّى لهم الآباء الكاثوليك وفي مقدّمتهم لاونسيوس البوزنطيّ وانكروا صحّة تلك الشواهد المزوّرة. لكنّ انصار البدعة المنوفيسيّة لم يكترثوا لاحتجاج الكاثوليك واخذوا في توفير نسخها فانتشرت تلك التآليف المصنوعة في جهات شتّى على يدهم والمرجّح اليوم انّهم هم الذين ألّفوها. ثم نقلها الى السريانيّة اليعقوبي سرجيوس الراسعيني المتوفى سنة ٥٣٦